التربية في فجر البشرية منذ آدم عليه السلام

إعداد

أ/ حنـــان بنت مرشود العتيبـــي

باحثة دكتوراه، قسم أصول التربية، مسار تربية إسلامية، كلية التربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور
المجلد السادس عشر، العدد الثالث (يوليو) - الجزء الأول، لسنة 2024

التربية في فجر البشرية منذ آدم عليه السلام

أ/ حنـــان بنت مرشود العتيبـــي[1]

الملخص:

هدفت الدراسة الكشف عن ملامح التربية في فجر البشرية منذ آدم عليه السلام، ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام المنهج التاريخي، وجاءت الدراسة مشتملة على إطار عام شمل مقدمتها وقضيتها وأسئلتها وأهدافها وأهميتها ومنهجها والدراسات السابقة ذات الصلة بها، ثم ثلاثة محاور، جاء المحور الأول بعنوان: بدايات التربية في تاريخ البشرية، وكان المحور الثاني بعنوان: التربية عند آدم عليه السلام: خصائصها وأساليبها، أما المحور الثالث فكان عن التربية بعد آدم عليه السلام، وكان من أبرز نتائج الدراسة: أن تاريخ التربية منذ فجر البشرية متأثر بدرجة كبيرة بنظرية داروين لذا يقع الحمل على الباحثين في مجال التربية الاسلامية العاتق الأكبر في إعادة صياغة تاريخ بدء الخليقة وفق حقيقة الخلق وأنها بدأت من أبو البشر أدم عليه السلام، أن رواد التربية الاسلامية ومنارات الهدى هم (الأنبياء) وأن تاريخ تربية الأنبياء هو (تربية ربانية المصدر والغاية) أما الأهداف العامة في تربية الأنبياء هي (تقوى الله وأيضاً إصلاح السلوك والأخلاق).

الكمات المفتاحية: تاريخ التربية، تربية الأنبياء، التربية الإسلامية، السلوك والأخلاق.

[1] باحثة دكتوراه، قسم أصول التربية – مسار تربية إسلامية، كلية التربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: hanan.malotibiy@hotmail.com

Education at the Dawn of Humanity since Adam (Peace Be Upon Him)

Hanan bint Marshood Al-Otaibi
Doctoral Researcher, Department of Educational Foundations - Islamic Education Track, College of Education, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia

Email: hanan.malotibiy@hotmail.com

ABSTRACT
The study aimed to uncover the characteristics of education at the dawn of humanity since Adam (Peace Be Upon Him). To achieve this objective, the historical method was employed. The study comprises a general framework that includes its introduction, issue, questions, objectives, significance, methodology, and related previous studies. It is structured around three main themes. The first theme is titled: The Beginnings of Education in Human History. The second theme is titled: Education with Adam (Peace Be Upon Him): Its Characteristics and Methods. The third theme addresses Education After Adam (Peace Be Upon Him). One of the prominent findings of the study is that the history of education since the dawn of humanity is significantly influenced by Darwin's theory. Therefore, it is incumbent upon researchers in the field of Islamic education to undertake the substantial task of reconstituting the history of the beginning of creation according to the truth of creation, which started with Adam, the father of humanity (Peace Be Upon Him). It is found that the pioneers of Islamic education and the beacons of guidance are the prophets, and that the history of prophetic education is divine in source and purpose. The general objectives in the education of the prophets are the piety of God and the reform of behavior and morals.
Keywords: History of Education, Prophetic Education, Islamic Education, Behavior and Morals.

المقدمة:

لقد رسم القرآن الكريم للناس ما يصلحهم في الحياة الدنيا، وما يجلب لهم المثوبة في الآخرة، وما رسمه لهم منهج متكامل، متفرع الجوانب فيه إصلاح الفرد، والبيت، والمجتمع، ولإيصال هذا المنهج الرباني العظيم أرسل الله الرسل للناس كافة، وجعل وظيفتهم هي تعديل مسار الناس نحو الإيمان إذا انحرفوا، وتوجيه أقوامهم إلى طريق الخير والرشاد إذا ابتعدوا، وقد اشترك كل الرسل والأنبياء في أصل ما أمروا بتبليغه إلى أقوامهم، وهو الأمر بإفراد الله بالعبادة دون غيره، ذلك أن الدين الذي أرسله الله مع كل الأنبياء لتبليغه وتعليمه للخلق هو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ١٩﴾ [آل عمران: 19]لذلك كان على المؤمن أن يسعى إلى إتباع هذا المنهج القرآني والأخذ من المنبع الصافي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وفي آيات بدء الخليقة وبدء البشرية بيّن الله أن أول الخلق هو آدم أبو البشر، وهو المصطفى المختار، وليس آدم إنسانا بدائيا، إنما هو نبي مكلم، وفي هذا رد على أصحاب النظرية المادية والقائلين بالنشوء والارتقاء، ومن هذا المنطلق ستدور هذه الورقة حول تاريخ فجر البشرية منذ آدم، وسنبرز تربية الأنبياء التي تميزت بأنها تربية ربانية.

ولقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده من تراب، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته عليه السلام وركب فيه العقل، وخلق له زوجته حواء عليهما السلام، فبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، ومن هنا كانت بداية خلق البشر، فقد انتشروا في الأرض، وكانوا يتعبدون بما أوحاه الله تعالى إلى أبيهم من الوحي والتشريع المناسب في ذلك الوقت، ولم يكن شيء يفتنهم عما كان يعبد به أبوهم ويقتدون به فيه، ولما طال الزمن وتباعد النسل وانتشر العمران في الأرض وتنافس الناس في الدنيا، حصل الاختلاف بينهم والانحراف عن طريقة أبيهم فبعث الله تعالى الرسل، وكان أول رسول إلى أهل الأرض نوحًا عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ [سورة البقرة:213]، أي: "كانوا على الهدى جميعاً، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فكان نوح عليه السلام أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله

إليهم نوحاً عليه السلام، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه" (ابن كثير، 1420هـ، ج1، 569).

ولما كان الجهد البشري عاجزاً عن عبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضاه ويحبه، وكذلك لا يستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها إذ لا يحيط بذلك إلا الله تعالى وحده، كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب لإصلاح الخلق، وإقامة الحجة عليهم، قال الله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء:159].

ولقد ظل الإسلام منبعاً للعلم ونوراً وهداية، ولم تنقطع روح الإسلام ومبادئه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث تفرق الصحابة في البلاد الإسلامية، ومن بعدهم من التابعين، ونقلوا منهج المربي الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام محققين بذلك الخيرية التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) (البخاري، 1419هـ، حديث رقم 3650، ص697)، ومن هنا كانت القرون الثلاثة الأولى أفضل القرون لقربها من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام والتابعين وتابعي التابعين، فنقلوا الوحي الرباني لكل أرجاء الدنيا، وأعجبت الأمم الأخرى بسلوكياتهم وأقوالهم وأفعالهم.

إن مجموع كتابات المسلمين ومؤلفاتهم التي تُشير إلى بعض الأفكار، والآراء، والمضامين، والتوجيهات، تُعد مصدراً غنيًّا من مصادر التربية الإسلامية؛ نظراً لما لها من قيمةٍ علميةٍ، ولكونها صدرت عن علماء مسلمين كان لهم فضل الاجتهاد في ظروفٍ وأزمنةٍ مختلفة تلبيةً لحاجات المجتمع، وتفاعلاً مع أوضاعه المختلفة. (النقيب والسَّالوس، 1420هـ، 19).

ولذا فالتراث المعرفي الإسلامي هو عصب الأمة الإسلامية، ومبعث فخرها واعتزازها، ومخزونها المعرفي الذي يلجأ إليه الباحثون والدارسون عند التعرض لكثير من القضايا والمشكلات بالدراسة والبحث، ومن ثم فهو يحتل مكانة بارزة في حياة المجتمعات الإسلامية، إذ يعد أداة تطوير هذه المجتمعات، ووسيلة تنميتها تنمية شاملة في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والصحية والبيئية وغيرها من مجالات (فرج، 2019).

فثقافتنا العربية ملاذ نحتاج اليوم للعودة إليه، نأخذ عنه، ونستلهم منه، فنحن في عصر نهضة أو إرهاص نهضة، وليست عودتنا إلى تراثنا عيباً؛ وإنما هي ضرورة، فإن كل أمة تريد أن تنهض بعد كبوة وتستيقظ عقب غفلة لابد أن تلتفت إلى ماضيها تأخذ منه وتنقل عنه (الطويل، 1968، 16).

ولقد ترك لنا المسلمون الأوائل تراثاً فكرياً وتربوياً غنياً ينبغي أن نفخر به ونعتز، لأنه يعكس لنا صورة الماضي، ويضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل بقدر رجوعنا إليه واستشهادنا به وأخذنا منه ما يتفق مع ظروفنا الراهنة، لذلك ينبغي الاستفادة من دراسة التراث لتحديد هويتنا الثقافية وربط ماضي الأمة بحاضرها (عبود، 1977، 148).

مشكلة الدراسة:

يواجه عالمنا العربي والإسلامي صراعاً فكرياً وعقائدياً وحضارياً، ولم يعد أمامه إلا أن يعيد صياغة فكره في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية لتحديد هويته الثقافية والحضارية، لذلك ظهرت محاولات جادة بين المخلصين من رجال التربية في عالمنا العربي والإسلامي تدعو إلى ضرورة الرجوع إلى تراثنا التربوي والنفسي لدراسته وتحليله ومحاولة الاستفادة منه في وضع فلسفة تربوية شاملة تعيد للمواطن العربي والإسلامي أصالته وتحدد له رسالته في عالمنا المعاصر.

يضاف إلى ما سبق فقد إدراك أعداء الأمة الإسلامية أن من أهم مقومات القوة فيها ذلك التراث الضخم من الفنون والآداب واللغة والتاريخ، وأحسوا – بعد دراسات متعددة – أن من عوامل نجاح المخطط الصحيح لاقتلاعها من تاريخها هو إبعادها عن تراثها الإسلامي، وإبعاد النشء العربي والإسلامي عن منابع اللغة العربية الفصحى، فهذا هو أضمن طريق لإبعادهم عن القرآن الكريم، وعن جميع مصادر تراثهم وتاريخهم (الخريجي، 1420هـ، 171، 172).

والحقيقة أن منهج المسلمين الأُوَل في الاستفادة من المعارف البشرية المتاحة لديهم قام على أسس ثابتة، قاموا بوضعه نصب أعينهم منذ اللحظة الأولى لبعث الحضارة الإسلامية وما زالت ماثلة أمامهم خلال مراحلها المختلفة، فقد قامت الحضارة الإسلامية على أساس أن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وكان المسجد هو المدرسة والجامعة لكل العلوم النافعة للكبار والصغار، حتى تفجرت ينابيع المعرفة الصافية في كل أرض وطأتها قدم مسلمة، و"اشتهر المسلمون بأنهم حملة علم وحكمة وعدل ورحمة فحظيت المكتبة العربية الإسلامية بحصاد هائل

بهر العالم قديمه وحديثه وأذهل الدنيا! لكنهم بعد ذلك تجاهلوها، بل وضعوها في قفص الاتهام بحجة أنها لم تعد قادرة على العطاء والنماء والتقدم وأن لغتها لا تستوعب مصطلحات العلم المتجددة، وكذبوا على أنفسهم" (عزوزي، 2010، 214).

ومن هنا كان من الضروري تعقب أعلام فكر الأمة وتراثها؛ لمعرفة ماذا صنعوا تجاه دنياهم ليُصنع نظيره تجاه دنيا الواقع، فعندئذ يُحافظ على السمات الأصلية التي تميز الواقع، دون أن تقتصر هذه المحافظة على إعادة إنتاج الناتج نفسه مرة أخرى في نسخة أخرى، ولو نُظِر إلى أبرز ما يميز العربي القديم في وقفته تجاه العالم من حوله، وُجدَ أنه نظر إليه نظرة عقلية، فإذا كان أمره هكذا، ثم أُريد مواصلة السير على هدى من تراث الأمة ليربط الحاضر بالماضي، لزمت الوقفة نفسها تجاه عالم الواقع، فلئن كانت مشكلاتهم غير مشكلات الواقع الحالي، واهتماماتهم غير اهتماماته، فذلك لا ينفي أن تُصطنع النظرة التي اصطنعوها، فيُتحد معهم في وجهة النظر وإن لم يُتشابه وإياهم فيما يُنظر إليه من مشكلات وقضايا (محمود، 1993، 307، 308).

وفي ضوء ما سبق تتحدد قضية الدراسة في الحاجة لاستجلاء معالم التربية في فجر البشرية منذ آدم عليه السلام، وهذا ما تستهدفه الدراسة من خلال محاولتها الإجابة عن الأسئلة الآتية.

أسئلة الدراسة: سعت الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما ملامح بدايات التربية في فجر البشرية؟
2. ما ملامح التربية في فجر البشرية عند آدم عليه السلام؟
3. ما ملامح التربية في فجر البشرية بعد آدم عليه السلام؟

أهداف الدراسة: استهدفت الدراسة تحقيق ما يلي:

4. الكشف عن ملامح بدايات التربية في فجر البشرية.
5. بيان ملامح التربية في فجر البشرية عند آدم عليه السلام.
6. عرض ملامح التربية في فجر البشرية بعد آدم عليه السلام.

أهمية الدراسة:

1. دراسة التراث الإسلامي وما تضمنه ذلك التراث من فكر تربوي أمر مطلوب، فالحضارة الإسلامية التي شهد لها مؤرخو الحضارات في الغرب والشرق أنها أفادت العالم في

طريق العلم، والمعرفة وأنارت عقول أبناء الأمم الأخرى بما قدمت لهم من ثقافات وفنون، مثل هذه الحضارة لابد أن يكون من ورائها فكر تربوي ومفكرون تربويون أسهموا في تنشئة الأجيال وإعدادهم لحمل هذه النهضة والارتقاء بها.

2. تتضح أهمية الدراسة في إبراز قوة الفكر الإسلامي في زمن أصبح التشدق بالغرب والتبعية له من سمات التحضر، بينما بات الرجوع للأصل مثال للرجعية والتخلف، وبيان مدي أهمية المنهج التاريخي في كتابة وتدوين الأحداث والوقائع التاريخية، وخاصة كتابة التاريخ الإسلامي.
3. الربط بين الماضي وما حدث فيه لفهم الحاضر، والاستشراف للمستقبل.
4. استخلاص الدروس والعبر من قصص الأنبياء عليهم السلام.

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج التاريخي وهو: ما يمكن به الإجابة عن سؤال في الماضي بواسطة مجهود علمي كبير من قبل الباحث، وذلك عن طريق استنتاج العلاقات بين الأحداث والربط بينها، مستنداً على ما استقاه من أدلة علمية صحيحة تبرهن صحة استنتاجاته (العساف، 1433هـ، 259).

مصطلحات الدراسة:

أ. التربيـــة: "هي التنمية والتنشئة المتضمنة لتزويد الفرد بالمهارات والمعارف والمعلومات والخبرات التي تعده لمواجهة أعباء الحياة ومسؤولياتها؛ وحيث إن هذه المسؤوليات لها بعد أخروي بجانب بعدها الدنيوي؛ فإن التربية ينبغي أن تكون إعدادا للفرد للنجاح في حياته الدنيا والفوز في الحياة الاخرة، خلافا للتربية الغربية المعاصرة التي تعد الإنسان للحياة الدنيا ولا تبالي بما يحصل له بعد الموت". (المحيميد، 2009م، ص:127)

ب. آدم عليه السلام: هو أبو البشر خلقه الله وفق ما تحدثت الآيات القرآنية في أحسن تقويم، وحمل الأمانة باعتباره المستخلف في هذه الأرض، مكنه ربه من أسباب الاستخلاف، وسخر له ولبنيه من بعده كل ما في الكون، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وتعهدهم بالرعاية؛ ليتسنى لهم أن يقوموا بما خلق من أجله خير قيام.

ج ـ فجر البشرية:

في اللغة: (فَجَرَ) الْفَاءُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّفَتُّحُ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ الْفَجْرُ: انْفِجَارُ الظُّلْمَةِ عَنِ الصُّبْحِ. (ابن فارس، 1399هـ، ص 75).

ونعني بها: أول الخليقة، وأحوال البشر في أول أمرهم.

فهذه الورقة في حقيقتها: وقوف على أحوال الأمم الماضية في أخلاقهم وحياتهم، وتعرف لحال بدء الخليقة، وتعرف لحال الأنبياء في سيرهم مع أقوامهم، وإبراز الجانب المشرق في هذا التاريخ، وتسليط الضوء عليه من خلال المصادر الأصليّة القرآن الكريم والسنة النبوية.

الدراسات السابقة:

دراسة يوسف (2014): حول منهج القرآن في البحث عن الحقائق التاريخية التي ثبتت نتائجها وبيان لدور الرسالة الخاتمة فيما حدث للأفراد والأمم معللا بالأسباب كما أبرز البحث أهمية القرآن في تحريض وتحفيز العقل ليكشف عن معالم تهدى للنواميس الحاكمة لحركة الإنسان الفرد وحركة المجتمع الأمة باستعمال الأدوات المناسبة والملائمة للبحث فيما مضى بالتزام الهدى الإلهي، أما تنكبه، فنتيجته اعوجاج عن الطريق المستقيم لتفسير التاريخ، وأشارت النتائج إلى ما يلي: حركة التاريخ تدور حول الفعل الإنساني ومسؤوليته وحرية اختياره، مما ينعكس على البناء الحضاري السليم أو الفاسد، هناك آليات لتفسير التاريخ الإنساني كانت وفق سنن إلهية صارمة مطردة منهجية وجّه القرآن الكريم نظر الإنسان إليها، تتحقق آثارها كلما تحققت أسبابها بينما كان التاريخ قبل القرآن عبارة عن أخبار، وروايات عن الأحداث والعادات لا يربط بينها منهج تحليلي سببي يحدد نسق التسلسل بين الأحداث، السبق العلمي والمنهجي لابن خلدون في تفسير التاريخ عن غيره من مفسري المدرسة الغربية.

دراسة منزو (1433هـ): هدفت ذكر بعض القيم التربوية في قصة نوح عليه السلام من خلال القرآن الكريم، والاستفادة من القيم الواردة في القصة للإسهام في تنمية القيم المثالية لدى الفرد وفق المنهج الإسلامي الصحيح الوارد في الكتاب والسنة، واستخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: أن قصة نوح عليه السلام اشتملت على العديد من القيم التربوية التي يمكن الاستفادة منها في تنمية الجانب الإيماني والأخلاقي والاجتماعي لدى الفرد والمجتمع، أن التطبيقات التربوية للقيم المستنبطة من القصة يسهم في بناء شخصية إسلامية صالحة طبق المنهج الرباني، أن الاستفادة من تلك القيم التربوية

المستنبطة في قصة نوح عليه السلام يؤدي إلى بناء مجتمع يتمتع بالصحة النفسية، ويتحقق بين أفراده التعاضد والاتزان، والوحدة والتماسك.

المحور الأول: بدايات التربية في تاريخ البشرية:

أولا: التربية البدائية:

قال ابن فارس(1399هـ): (بَدَأَ) الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالْهَمْزَةُ مِنِ افْتِتَاحِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: بَدَأْتُ بِالْأَمْرِ وَابْتَدَأْتُ، مِنَ الِابْتِدَاءِ. وَاللَّهُ تَعَالَى الْمُبْدِئُ وَالْبَادِئُ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[البروج: 13] وقال تعالى:﴿ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾[العنكبوت: 20]

والبدائي . بضم الباء في علم الاجتماع هو الطور الأول من أطور نشأة المجتمع، والصورة الأولى للأشياء.

ومجتمع بدائي هو المجتمع الذي لا يعرف القراءة والكتابة يقوم تنظيمه الاجتماعي على الجماعات الأخرى مثل العائلة والفخذ والعشيرة، فالعلاقات الاجتماعية تقوم بين أفراده على أسس قرابية ومحلية، وتدني في الحياة والتفكير. (على، 1999م، ص ص 46، 49)

أهم ما اتسمت به التربية لدى الأقوام البدائية تلك الأقوام التي تجد نماذج لها فيما تبقى منها لدى الشعوب البدائية التي تعيش بيننا، والتي كانت وما تزال موضوع دراسة علماء الاجتماع وسواهم أنها تربية هدفها الوحيد أن يقلد الناشئ عادات مجتمعه وطراز حياته تقليداً عبودياً خاصاً. فتكوين الناشئة في تلك المجتمعات تكوين غرزي يقتصر على إعدادهم إعداداً يمكنهم من إرواء الحاجات المادية من مأكل وملبس ومأوى.

والطفل فيها يتدرب شيئاً بعد شيء على مختلف الأعمال التي تمارسها القبيلة: من مثل أعمال الخدمة المنزلية، وصناعة الأدوات الضرورية وحياكة الأقمشة المختلفة والتمرس بالصيد، والتدرب على أمور الحرب وحمل السلاح؛ ورعي الماشية، والقيام بالأعمال الزراعية. وهذه المهمات التي يتدرب عليها الناشئ تستلزم دون شك قدراً من العربية الفكرية والخلقية هذا الاندماج للناشئ، بالمجتمع وهو هدف التربية البدائية النهائي – يتم على مراحل عبر مسيرة الطفولة والمراهقة. وهو يجري بوساطة أساليب بعيدة كل البعد عما ندعوه اليوم باسم التربية. فالذي يمارس التربية ويتولاها في المجتمعات البدائية هو جملة المؤسسات والنظم الاجتماعية – أو قل هو المجتمع بأسره. ولا تتولى هذه المهمة بالتالي أي مؤسسة تربوية مدرسية خاصة، ومن هنا كان أَثْر التربية في تلك المجتمعات البدائية أثر غير مباشر يتم عن طريق النقل المتصل

الحـي للمعتقدات والعـادات السـائدة فـي المجتمـع. وفـى معظـم الأحيـان يكتسـب الناشـئة عـادات الراشدين ويتمرسون بمواقفهم الانفعالية والعقلية عن طريق الإسـهام المباشر فـي نشـاطاتهم ذلك الاسهام الذي يقوم مقام التعلم والتعليم. وهذا الاسهام نفسه فـي نشـاطات الجماعـة يتم ايضـا علـى نحو غير مباشر.

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن التربية في المجتمعات البدائية، هي في جوهرها تدريب تدريجي على المعتقدات الاجتماعية وعاداتها وأعمالها.

في حين أن التربية الفكرية هي بطبيعة الحال تربية يغلب عليها طابع العمل، وهدفها أن تجعل الطفل قادراً على تلبية حاجاته ثم حاجات أسرته.

مـع إغفال الحديث عن الحاجات الروحية والدينية، وكأن الإنسان فـي ذلك الوقت–كما تصوره مؤرخو التربيـة–لم يكتشف أنـه بحاحـة إلـى التدين، أو أن التدين ظهر بعد ذلك فـي فترة لاحقة من حياة البشرية. (عبد الدائم، 1937م، ص ص 11-23)

ومما ينبغـي الاشـارة اليـه المعـاني المغلوطـة والتصـورات غيـر السـليمة الخاصـة بهـذا الإنسان البدائي أو ما قبل التاريخ.

فالصـورة الشـائعة هـي أن هذا الإنسـان كـان قديما عظيم القبح، كـان صـغيرا جدا، بـل أصغر بكثير من الإنسان في الوقت الحاضر، ورأسه ومعظم جسده وذراعاه وأرجله مغطاة بشعر طويل خشن، وكانت أصابعه رفيعة جدا، ولكنها قوية، مما يجعل يديه أشبه بأيدي القردة، وكانت جبهته منخفضة وفكيه أشبه بفك الحيوان، وكان يتخذ له لباسا. حتى ليخيل لمن يطلـع علـى هذه الصفات أن هذا المخلوق لتوه قد تحول من مخلوق أخر، وأنه في بداية كينونته البشرية، وأنـه لم يكتسب بعد من الثقافة والمعرفة مما يرقـى بـه إلـى آفاق أعلـى من الإنسانية، وأنـه حصـل علـى الرقي بعد ظهور الأنسان الحديث. (علي، 1999م، ص22، 23)

ويشير شاكر (1421هـ) إلى أنه: اقتضت حكمة الله سبحانه أن يخلق على هذه الأرض مخلوقاً يكون مستخلفاً فيها، يملك زمامها، وتُطلق يده فيها، ويكشف عما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز، وقد سخّر الله لهذا المخلوق كل ما في هذه الأرض، حتى يتمكن من القيام بعملية الاستخلاف المنوطة به.

ولا يهمنـا أن يكـون هـذا المخلـوق هـو أول مـن وجـد علـى الأرض أم وجـدت مخلوقـات أخرى قبله أفسدت أم أن الجن هم الذين فعلوا هذه الفعلة الأمر الذي جعل الملائكة تتساءل أمام

الله – وقد عرفت ما حدث – فتقول:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾[البقرة: 30]

المهم هنا أن هذا المخلوق قد وجد، وهو آدم عليه السلام، وهو أول المخلوقات من البشر التي ننتمي إليها نحن، ونتصل بأنسابنا إليه.

ثانيا: تاريخ ما قبل الاسلام:

وقد استمر مدة طويلة كانت جاهلية بأكثر معالمها باستثناء جماعات عاشوا مع أنبيائهم وساروا على نهجهم واتبعوهم؛ لذا يمكن أن نسمي هذه المدة بالجاهلية الأولى لما فيها من حيدان وانحراف عن منهج الله الذي أنزله على الرسل الذين بعثوا إلى شعوب تلك المدة من الزمن. (شاكر، 1421هـ، ص 11).

ولا يزال التاريخ –وبخاصة القديم منه يأخذ مقتطفات من سجل هذه المنطقة ومن تلك، الأمر الذي يبدو فيه كثير من الفجوات، إضافة إلى أن هناك تعارضاً بينًا بين ما يخطه المؤرخون الماديون من خلال نظرتهم إلى الحياة، ويفسرون كل شيء، من خلال تلك النظرات، ويعدونه حقيقة، ويقدمونه للمجتمعات من خلال آرائهم، وبين الواقع الذي عاشه البشر في تلك المدة، والذي أشارت إليه بعض الآيات التي وردت في كتاب الله عن الأقوام الماضية التي خالفت أوامر الله، ورفضت دعوة رسلها، لذا فقد أخذهم الله بذنوبهم، وعاقبهم على ما اقترفوه من ذنوب، وما تلك الإشارات الواردة في القرآن بتاريخ مفصل عن منطقة ما، وإنما إشارة إلى حوادث تاريخية فيها العبرة والذكرى من خلال إيرادها، وهي تعطي ضوء على التاريخ. (شاكر، 1421هـ، ص ص12، 15).

ولابد من الإشارة إلى عقيدة الأمة المسلمة في التاريخ؛ فقد عاشت بعقيدة واحدة على مدار التاريخ، فالجماعات الذين اتبعوا الأنبياء الذين بعثوا على طول الزمن من آدم عليه السلام إلى محمد وعاشوا بعد ذلك حسب هدي آخر الأنبياء حتى يرث الله الأرض ومن عليها، واعتقدوا بخالقهم، وآمنوا بما أنزل الله إليهم من ربهم، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وطبّقوا ما جاءتهم به رسلهم من نور، يؤلفون أَمَةٌ واحدةً على مدى هذا التاريخ، فهم جميعاً يعتقدون عقيدةً واحدةٌ، ويسيرون على نهج واحد؛ هو النهج الذي أتى به رسل الله؛ فربهم واحد، وفكرتهم واحدة، وهم مستسلمون لأمر الله، مسلمون لما بعث، وبما قضى.

هذه الجماعة هي الأمة المسلمة التي تتميز عن غيرها بفكرتها التي تعيش بها ومن أجلها، فالله سبحانه وتعالى بعد أن يُعدّد رسل الله والصالحين من عباده﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ٩٢﴾[الأنبياء: 92]

أما الجماعات البدائية التي تعيش في مجاهل القفار والغابات اليوم فليست من مخلفات الإنسان القديم الذي يتصوره الماديون، وينقلون صورته إلى الأطفال لينشؤوا في بعدٍ عن عقيدتهم التي تصور لهم المخلوقات على الصورة نفسها التي يرونها اليوم. لقد كانت هذه الجماعات جزءاً من أقوام رسل الله الذين بعثوا لهدايتها فأبوا الدعوة، ورفضوا الفكرة، ووقفوا في وجه نبيهم، وعتوا عن أمر ربهم فسلط الله عليهم من يحاربهم ويلاحقهم من مكان إلى مكان. فلو كانت هذه الجماعات منعزلة في مواطنها، متقوقعة في مواضعها من الأصل الذي وجدت فيه، لكان المعنى أن أصول البشر متعددة، وهذا ما يخالف العقيدة الإسلامية بل الديانات السماوية كلها، ولو وجدت من الأصل هناك لجاءها هاد، وإلا لما كان عليها حساب ولما حق عليها عذاب. قال تعالى:﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا١٥﴾ [الإسراء: 15]فآدم عليه السلام كان يعلم أبناءه وأحفاده التوحيد ويبلغهم دعوة الله، واستمرت هدايته، حتى كان (شيث) و(إدريس). ثم كانت دعوة نوح عليه السلام، وهكذا فبداية الخلق لها دعاة وهداة. (شاكر، 1424هـ، ص ص 20، 24)

ويمكن الإشارة لتاريخ قبل الإسلام بالنقاط التالية:

- خلق الله البشر وبعث الرسل لعبادته، وإقامة شريعته في الأرض.
- كان آدم هو أول البشر وأول الانبياء.
- تتابعت الحضارات وتوالى الأنبياء والرسل وأقدم الحضارات ظهرت في العراق ومصر والشام وجزيرة العرب.
- أغلب الأنبياء والرسل ظهروا في بلاد الشام، فمنهم لوط، واسحاق، ويعقوب، وأيوب، اليسع، إلياس، دواد، سليمان، زكريا، يحي، عيسى عليهم السلام، وهم من بني اسرائيل وأرسلوا إليهم وإلى غيرهم.
- وقامت في مصر الحضارة الفرعونية، وظهر فيهم من الأنبياء يوسف، وموسى، وهارون عليهما السلام.

- وظهر في جزيرة العرب قوم عاد وثمود وأهل مدين وحضارات اليمن (معين، وسبأ) والقبائل المهاجرة بعد انهيار سد مأرب، والأحباش وذرية أسماعيل بن ابراهيم، وأنبياء جزيرة العرب وهم: صالح، وشعيب، وإسماعيل عليهم السلام.
- ظهرت حضارات أخرى وسادات على وجه الأرض كحضارة الإغريق والرومان.
- معظم هذه الممالك والجماعات كذبت برسلها، وتمادت في غيها وانحرافها، وما آمن إلا قليل، ثم بعث الله أخر رسله محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشر كافة في جميع أصقاع الأرض وعلى يديه كانت هداية البشرية الضالة. (العسيري، 1417هـ، ص ص 48، 49)

المحور الثاني: التربية عند آدم عليه السلام: خصائصها وأساليبها.

أولا: ممهدات عن آدم وخلقه ونبوته وتعليم الله له:

1. خلق أدم وحواء:

ـ آدم ذكر في عدة سور منها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ٣٠ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ٣٢ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ٣٣ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ٣٤وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ٣٦ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ٣٧﴾ [البقرة: 30–37]

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن، فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلًا لهم:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ٣٠﴾[البقرة: 30]

أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضًا، كما قال:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ١٦٥﴾ [الأنعام: 165]﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ١٦٥﴾ [الأنعام: 165] فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه. فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم، والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين.﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ٣٠﴾ [البقرة: 29-30] (ابن كثير، 1426هـ، ص 109، 111)

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، ومحمد بن جعفر، حدثنا عوف، حدثني قسامة بن زهير، عن أبي موسى، عن النبي قال: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والخبيث، والطيب، والسهل، والحزن، وبين ذلك). ورواه أيضًا، عن هوذة، عن عوف، عن قسامة بن زهير، سمعت الأشعري قال: قال رسول الله : (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، وبين ذلك، والخبيث، والطيب، وبين ذلك).(العسقلاني، 1419هـ، ص 125).(ابن الاثير، 2009م، ص 27)

وحكى السدي عن أبي صالح، وأبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحشي ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه فسألها من أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولما خلقت؟ قالت: لتسكن إلي. فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولمَ كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي.

وذكر محمد بن إسحاق، عن ابن عباس، أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر، وهو نائم، ولئم مكانه. ومصداقا هذا في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ١﴾[النساء: 1]

وفي قوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ١٨٩﴾[الأعراف: 189]

وفي (الصحيحين) من حديث زائدة، عن ميسرة الأشجعي، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن النبي أنه قال: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا». (البخاري (5186)، ومسلم (1468) (العسقلاني، 1419هـ، ص 107)

2ـ تعليم الله له:

أ. هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة، حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم الله تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ٣١﴾[البقرة: 31]

وقال الضحاك عن ابن عباس:(وعلم آدم الأسماء كلها) قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وسماء، وأرض، وسهل، وبحر، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير، من حديث عاصم بن كليب، عن سعيد بن معبد، عن ابن عباس: (وعلم آدم الأسماء كلها) قال: علمه اسم وقال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة:(وعلم آدم الأسماء كلها) قال: علمه اسم كل دابة، وكل طير، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وفي رواية: علمه الصحفة والقدر.

وفي حديث الشفاعة في الصحيحين، عن أنس:" أن أهل الموقف يقولون لأدم: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء".(العسقلاني، 1419هـ، ص ص 106، 108)

ب . . مَّا خلق اللهُ آدمَ، ونفخ فيه الرُّوحَ عطس فقال الحمدُ للهِ، فحمِد اللهَ بإذنِ اللهِ تبارك وتعالَى، فقال له ربُّك: رحمِك اللهُ يا آدمُ، وقال له يا آدمُ: اذهبْ إلى أولئك الملائكةِ، إلى ملأٍ منهم جلوسٍ، فقل: السَّلامُ عليكم، فقالوا: وعليك السَّلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، ثمَّ رجع إلى ربِّه عزَّ وجلَّ فقال: هذه تحيَّتُك وتحيَّةُ بنيك، وبنيهم، فقال اللهُ تبارك وتعالَى له – ويداه مقبوضتان – اختَرْ أيَّهما شئتَ، قال: اخترتُ يمينَ ربِّي، وكلتا يديْ ربِّي يمينٌ مباركةٌ، ثمَّ بسطها، فإذا فيها آدمُ وذريَّتُه، فقال: أيْ ربِّ ما هؤلاء ؟، قال: هؤلاء ذريَّتُك، فإذا كلُّ إنسانٍ مكتوبٌ عمرُه بين عينيه،

وإذا فيهم رجلٌ أضوَؤُهم، أو من أضوَئِهم، لم يُكتبْ له إلَّا أربعين سنةً، فقال: يا ربِّ. . . من هذا؟ فقال: هذا ابنُك داودُ وقد كتبتُ له أربعين سنةً، فقال يا ربِّ زدْه في عمرِه، قال: ذاك الَّذي كتبتُ له، قال: فإنِّي جعلتُ له من عمري ستِّين سنةً، قال: أنت وذاك، فقال: ثمَّ اسكُنْ الجنَّةَ ما شاء اللهُ، ثمَّ اهبِطْ منها، وكان آدمُ يَعُدُّ لنفسِه فأتاه ملَكُ الموتِ، فقال له آدمُ، قد عجِلتَ، قد كُتب لي ألفُ سنةٍ، قال: بلى، ولكنَّك جعلتَ لابنِك داودَ منها ستِّين سنةً، فجحد، فجحدت ذريَّتُه، ونسِي فنسِيَت ذريَّتُه، فيومئذٍ أُمر بالكُتَّابِ والشُّهودِ. (الترمذي)، (3368).

3. نبوته:

وهب الله آدم النبوة كما أمده بالعلم؛ فقد ورد في الحديث فيما أخرجه الحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه:"أن رجلا قال: يا رسول الله ء أنبي كان آدم؟، قال: نعم معلم مكلم قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشر قرون." الحديث؛ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، (الحاكم، 2/ 262)

ومعنى ذلك أنه أوحي إليه وحي؛ والوحي يتضمن عقيدة وشريعة؛ والعقيدة واحدة عند آدم وعند سائر الأنبياء بعده لا تتغير؛ والشريعة تختلف من نبي إلى آخر؛ كما قال تعالى: (لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شَرْعَةً ومِنْهَاجًا) (المائدة: 48) ومعنى ذلك أن آدم كان له شريعة خاصة تناسب زمانه وتناسب ظروف الحياة البشرية في عهده؛ حيث لم يكن هناك سوى أسرة واحدة على الأرض؛ فاقتضت حكمة الله أن يباح زواج الابن من أبناء آدم بأخته من البطن الذي ولد قبله أو بعده؛ وكانت حواء تلد توأما في كل مرة؛ وهذا الحكم كان أنسب حكم لذلك الزمان؛ إذ لو حرم ذلك في شريعة آدم لانقرضت البشرية.(المحيميد، 2009م، ص 140)

وتعددت وجوه التكريم والاعتبار لآدم وذريته من بعده: فكان ذلك على النحو التالي:

١. جعل آدم خليفة بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه مصداقا لقوله تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ٢٩﴾[الحجر: 29]

وفي ذلك تشريف أيما تشريف أن يتولى الله سبحانه وتعالى الخلق والتسوية ونفخ الروح في آدم عليه السلام.

٢. كرَمه الله عن سائر المخلوقات وخلقة في أحسن تقويم مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

تَفْضِيلًا٧٠﴾ [الإسراء: 70] وقوله أيضاً: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ٤﴾[التين: 4] ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ٤﴾ [التين: 4]

وفي ذلك إعلاء لآدم وذريته من بعده على التصورات الهابطة عن أصل الخلق كما ذهبت نظرية النشوء والارتقاء.

٣. أمكنه من ذلك ويسر له أسباب النجاح ولا أدل على ذلك من تسخير كل ما في الكون لأجل قيامه برسالته السامية مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ١٣﴾[الجاثية: 13]

٤. أمر الملائكة بالسجود له سجود تشريف واحتفاء وتعظيم لآدم عليه السلام، باعتبار ما سيكون من علاقة بين الملائكة وبين بني آدم مصداقا لقوله تعالى:﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ١٢﴾ [الأعراف: 12]

٥. أرسل الرسل من ذريته ليكون أدعى للتصديق والاستجابة وفيها منَّة من الله تعالى مصداقا لقوله تعالى:﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ١٤٦﴾[آل عمران: 146]

٦. أنزل الكتب لتكون دليلا ومرشدا لبني آدم وليعضوا عليها بالنواجذ ولتضبط سلوكهم ولتكون لهم منهج حياة مصداقا لقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ١٢١﴾ [البقرة: 121]

٧. كلمه سبحانه وتعالى وهذا من قبيل التكريم إما مباشرة وإما من وراء حجاب قال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ٥١﴾ [الشورى: 51] (المزين، 2009م، ص ص 13، 14)

4: نظرة إبليس لآدم عليه السلام: يبدو أن إبليس قد نظر لآدم وهو مسجى فوجده أجوف ودخل في جوفه وقال لئن سلطت عليه لأهلكنه، روى مسلم في صحيحة عن ثابت عن أنس أن رسول الله قال " لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به فينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك (مسلم، 2611)

ولعل هذا مرده إلى خوف إبليس من آدم كخلق جديد فجعل يستكشف كنهه ويستبصر أمره استعدادا لمصارعته في جولات قادمة ولا يمانع أن يهلكه إن سلط عليه لضعفه كونه فارغ منه الداخل وهذه النظرة جاءت نتاج الكبر والمعصية والحسد لآدم الذي جاء نظرياً مصداقا لقوله

تعالى:﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا٦٢﴾[الإسراء: 62]

وفي تبرير عدم السجود يتمادى إبليس فيتوعد آدم باستئصال ذريته بالإغواء إلا قليلا منهم ممن عصمه الله.

ومن الممارسات السلبية لإبليس لآدم أنه يوسوس لهما بما يوقعهما في الآثام والخطايا ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- **الوسوسة:** حيث أتاهما فوسوس إليهما، مصداقا لقوله تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى١٢٠﴾[طه: 120] أي التي يخلد من يأكل منها فلا يفنى وهو لازم الخلد.
- **جريانه في العروق:** فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم}.
- **سبب الهبوط إلى الأرض بعد الخروج من الجنة قال تعالى:**﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ٣٦﴾[البقرة: 36] أي لهما ولذريتهما من بعد.
- **الحسد والعداوة:** قال تعالى:﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ١٢﴾[الأعراف: 12] فبدا ذلك في تكبره عليه ومخالفته أمره؛ وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيمان بالله.
- **العداوة بين بني آدم وإبليس:** وأما عداوة آدم وذريته إبليس، فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه وأما عداوة إبليس آدم، فكفر بالله.
- **فتنة الإنسان بتزيين الباطل:** ومنها قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ٢٧﴾[الأعراف: 27] وفيها تحذير الله لبني آدم لا يضلنهم الشيطان أي لا يتبعوه فيخرجهم كما أخرج أبويهم بفتنته، من الجنة فنزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما.
- **ظلم الإنسان لنفسه:** فإنه يعني به فتكونا من المتعدين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه، وإنما عنى بذلك أنكما إن قربتما هذه الشجرة كنتما على منهاج من تعدى حدودي

وعصى أمري واستحل محارمي؛ لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين. (المزين، 2009م، ص15)

5. تربية أدم لأبنائه:

قام آدم عليه السلام بأول تربية تلقاها بشر عن بشر؛ فقد كان هو المربي لأول جيل من الأحيال البشرية؛ أولئك هم بنو آدم من صلبه؛ وكانت التربية التي رباهم عليها ذات مضمون تربوية قوامه العقيدة الصحيحة والشريعة الملائمة لزمنه والقيم الفاضلة المتوافقة مع الفطرة التي فطر الله عليها بني آدم؛ وهذه المضامين هي من الوحي الذي كلم به؛ وإذا كانت الشريعة خاصة به فإن العقيدة والقيم الفاضلة هي نفسها لا تتغير عند سائر الأنبياء؛ وآدم أولهم؛ ففي العقيدة مفردات العقيدة المعروفة كالإيمان بالله وتوحيده والإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر والجنة ونعيمها والنار وعذابها وما إلى ذلك و القيم الأخلاق الفاضلة التي تدعو إليها الفطرة؛ كالعدل والصدق والأمانة و الوفاء والإحسان والبر وما إليها مع التنفير والتحذير من أضدادها. هذا ما يتعلق بالمحتوى التربوي الذي رباهم عليه. أما الأساليب التربوية التي مارسها في تربيتهم فيمكن أن نتبين شيئاً منها من خلال قصة قابيل وهابيل كما جاءت في القرآن الكريم؛ ؛ يقول الله تعالى:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ٢٧ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ٢٨ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ٢٩ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ٣٠ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ٣١﴾ [المائدة: 27–31]

من خلال التأمل في هذه الآيات تتضح الأساليب التربوية الآتية والتي كان يوظفها آدم عليه السلام في تربية أبنائه:

- إصلاح النفوس عن طريق العبادة والتقرب إلى الله.
- التربية على الخوف من الله رب العالمين.
- السعي لرضا الله والعناية بالقبول عنده.
- غرس تقوى الله في القلوب.
- التورع عن ارتكاب الذنوب الكبيرة؛ كقتل النفس.

- الحساسية والحذر من الوقوع في الإثم.
- التربية على يقظة الضمير وحياته.
- التربية على الخوف من النار والوقوع في الظلم.

هذه بعض آثار تربية آدم لبنيه؛ نتبين فيها بعض الحوافز التي حفزهم كما نحو الخير والاستقامة؛ كالتقرب إلى الله بالعبادة وابتغاء مرضاته والقبول عنده؛ كما نرى فيها بعض الروادع التي تردعهم عن الوقوع في الإثم والمعصية؛ كالخوف من الله والخوف من ناره وعذابه. فقد كان عليه السلام يربيهم تربية إيمانية نبوية يوظف فيها عدداً من الحوافز والروادع التي كانت تبني في نفوسهم الإيمان وتقوي فيها الوازع الديني والضمير الحي.

ويضاف إلى ذلك التربية الربانية المباشرة بالأحداث والمواقف التي يرها الله أمام عباده ليعتبروا بما ويتعظوا منها؛ مثل حادثة الغراب التي كانت نتيجتها تقليد ابن آدم للغراب في دفن جثة أخيه؛ وهذا تعليم رباني للبشرية وسنة ماضية فيهم إلى يوم القيامة وكذلك الندم الذي يحدثه الله في النفس بعد الوقوع في الإثم؛ والندم في مثل هذا الموقف يكون شديد الوطأة على الإنسان؛ فيضغط عليه للبحث عن مخرج من هذه الورطة التي وقع فيها؛ وليس هناك من مخرج إلا بالتوبة؛ والله جل وعلا يقول:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ٥٣﴾ [الزمر: 53](المحيميد، 2009م، ص141، 142)

6. خصائص التربية عند آدم عليه السلام:

1- ربانية: وتمثل ذلك في كونها ربانية المصدر فَمن خلق آدم وضع له سبل السير وفق منهج رباني مصداقا لقوله تعالى: (صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)، فقد صبغ الله آدم بدينه الذي فطر الناس عليه فظهر أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب فلا أحد أحسن من الله صبغة فيه تمييز بالربانية لآدم (ونحن له عابدون) فالبداية من الله والملاذ إلى الله وهي من الجنة إلى الجنة إذا وافق سير آدم المنهاج الرباني، مصداقا لقوله تعالى:﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ٣٨﴾ [البقرة: 38]

كذلك جاءت آيات قصة آدم في أكثر من موضع تؤكد أن العلم مصدره من عند الله سبحانه وتعالى وتارة بقوله تعالى:﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ٣١﴾ [البقرة: 31]، حيث بينت الآية

أنه سبحانه من علم ومن عرض الأسماء ومن حاور الملائكة ومن قال إني أعلم مالا تعلمون ومن تعهد آدم بالرعاية وتقبل توبته ورسم له سبل النجاة بقوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ٣٨﴾ [البقرة: 38]

ـ **عقائدية:** إن أصل الإنسان أنهم خلقوا من نفس واحدة، كما قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا١﴾ [النساء: 1] قالوا: إنهم خلقوا من آدم، وعليه اتفاق جميع الأديان السماوية، وعليه اتفقت كلمة أصحاب الملل –اليهود والنصارى والمسلمون – إلا من شذ منهم وأتبع الملاحدة في أقوالهم، وآرائهم، فجميع أصحاب الأديان السماوية يقولون إن الأصل في الإنسان هو التوحيد، والشرك طارئ عليهم.

ويستدل عليه من وجوه:

أولاً: أن الإنسان الأول هو آدم عليه السلام كان نبياً يعبد الله وحده لا شريك له وعلم أبناءه التوحيد؛ حيث سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم: أنبي هو؟ قال: (نعم، نبي مكلم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه روحه...). (أحمد، 22342)

ثم وقع بنو آدم في الشرك بعده بأزمان – وهذا يقر ويقول به كل من يؤمن بأن الله هو الخالق، وكل من يؤمن بالأديان السماوية الثلاث؛ الإسلامية والنصرانية واليهودية، إلا من تابع قول الملحدين منهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله–(ولم يكن الشرك أصلاً في الآدميين، بل كان آدم ومن كان على دينه من بنيه على التوحيد لله، لا تباعهم النبوة... فإن آدم أمرهم بما أمره الله به، حيث قال له:﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ٣٩﴾ [البقرة: 38–39] فهذا الكلام الذي خاطب الله به آدم وغيره لما أهبطهم قد تضمن أنه أوجب عليهم اتباع هداه المنزل)

ثانياً: بين الله سبحانه أن البشرية كانت في أول أمرها على التوحيد، ثم طرأ عليها الشرك وتعدد الآلهة، قال تعالى:﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ

الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ٢١٣﴾ [البقرة: 213]

وجمهور المفسرين يقولون بأن الناس كانوا أمة واحدة على الهدى والتوحيد، فظهر فيهم الشرك عن طريق تعظيم الموتى، فبعث الله إليهم رسله ليردوهم إلى التوحيد وكما قاله قتادة ويؤيده ما جاء في قراءة أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين...) كما يؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ١٩﴾ [يونس: 18-19] وهو الذي رجحه ابن كثير معللاً بقوله: (لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام – فبعث الله إليهم نوحاً-عليه السلام – فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض)، ويقول: (ثم أخبر الله تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد وهو الإسلام)

ثالثاً: أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه أن الفطرة التي فطرت عليها البشرية كلها هي فطرة الإسلام التي هي التوحيد الخالص، قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ٣٠﴾[الروم: 30]

فهاتان الآيتان تبينان أن العباد كلهم مفطورون على التوحيد وأنه الأصل في بني آدم وقد فسر مجاهد الفطرة بأنها الإسلام.

رابعاً: بيّن الله في كتابه: أن التوحيد هو أصل دعوة الرسل وإليه دعوا أقوامهم، قال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ١٣﴾[الشورى: 13]

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ٣٦﴾ [النحل: 36]

وكل رسول افتتح دعوته لأمته بالدعوة إلى عبادة:(اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ). (زكريا، 1421هـ، ص ص 181- 184)

ـ أخلاقيـة: وتتمثل في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ٣٤﴾[البقرة: 34]

وقوله:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ٣٥﴾[البقرة: 35]

وخاصة قيم التواضع والسمع والطاعة والاستجابة لأمر الله والقناعة بما كتب الله والرضا بما عند الله، وعدم التطلع إلى ما عند الآخرين.

ـ عالمية: لم يكن الدرس مقتصرا على آدم لوحده لكن كان هذا لبنيه من بعده ولعل القصص في عمق القرآن الكريم عززت هذا الفهم فليس المقصود بها أناسها من الأقوام السابقة لأن منهم أهلكوا وانتهوا ومنهم من طبع الله على قلبه فهم لا يؤمنون فمن المقصود إذن أليس جميع الخلائق إنسهم وجنهم ونستقي ذلك من قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ٢٦يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ٢٧﴾ ففي هذا الموطن جاء النداء عاما لبني آدم.

ـ مستمرة: لما توالت الخلائق على هذه الأرض جيلا بعد جيل وتعاهدها الله بالهداية والرشاد فتارة أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وتارة أسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، وتارة بين لهم الواقع والمآل فريق في الجنة وفريق في السعير، ولم يعتبر الموت نهاية الحياة بل بدايةً لحياة جديدة. (المزين، 2009م، ص ص 43، 45)

7ـ أساليب التربية عند آدم عليه السلام:

1ـ أسلوب العقاب: وهو من الأساليب التربوية المستخدمة بشكل يتوافق مع فطرة الإنسان وغايته الكف عن السلوك العدواني، ومن أمثلة العقاب المستخدم في قصة خلق آدم ما يلي:

أ–المراجعة والتوبيخ نذير المتابعة والإشراف: ومثاله قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ١٢﴾ [الأعراف: 12]

ب–الطرد من الجنة وإخراجه صاغراً لقوله تعالى:﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ١٣﴾ [الأعراف: 13] جزاء الكبر والمعصية.

ت –الإخراج من الجنة بصفة كونه مذءوماً مدحوراً ومثاله قوله تعالى:﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ١٨﴾[الأعراف: 18]

ث –عاقبة أمره أنه في جهنم ومثاله قوله تعالى: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ١٨﴾[الأعراف: 18]

ج –كشف العورة ومثاله قوله تعالى:﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى١٢١﴾[طه: 120–121]

ح –الهبوط إلى الأرض لآدم وإبليس: ومثاله قوله تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ٢٤﴾[الأعراف: 24]

خ ـ المعيشة الضنك والحشر بعمى جراء الإعراض عن ذكر الله ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى١٢٤﴾ [طه: 124]

د –النسيان: ومثاله قوله تعالى:﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى١٢٦﴾ [طه: 126]

ذ–عذاب النار ومثاله قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ٣٩﴾ [البقرة: 39]

2–أسلوب المقارنة: مقارنة إبليس نفسه بآدم حيث ادعى لنفسه الخيرية مقارنا أصل خلقه بأصل خلق آدم وذلك مصداقا لقوله تعالى: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (الاعراف:12) ونسي إبليس أن الله خلق آدم بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته تكريما لحكمة يعلمها الله.

3ـ أسلوب الحوار والمناقشة: وتعددت صور الحوار بتعدد رموز القصة فتارة حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة كقوله تعالى: (وإِذْ قَال ربك لِلْملاَئِكَة)، وتارة حوار الملائكة مع الخالق جل وعلا ومنه قوله تعالى:(قَالُواْ أَتَجعلُ فيها من يفْسد فيها ويسفك الدماء)، وتارة حوار الخالق مع آدم (قَال يا آدم أَنبِئْهم بِأَسمآئِهِم) وأخرى حوار آدم مع رب العزة ومن بعد ذلك حوار رب العالمين مع الشيطان وفي المقابل حوار الشيطان مع المولى عز وجل وأخيراً حوار مفتوح مع بني آدم إلى ما شاء الله وعنوان ذلك التواصل والاتصال بين جميع رموز القصة كأطراف للعملية التعليمية وذلك من خلال حوار رب العالمين مع الملائكة.

وذلك كقوله تعالى للملائكة: (قَالَ إِنِّي أَعلَم ما لاَ تَعلَمون)، ومنه أيضا قوله تعالى في هذا السياق:﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ٣٣﴾ [البقرة: 33] ومنها قوله تعالى

أيضاً:(أَنبِئُوني) حيث طلب منهم الإجابة، ثم قال لهم (إني جاعل في الأرض خليفة)، ثم قال لهم (ألم أقل لكم) وذلك في سلسلة من الحوارات والنقاشات بين عناصر الموقف التعليمي حيث بدا واضحاً فيها السؤال والجواب مع ملاحظة عدم تكليفهم ما لا يطيقون وفية فائدة بجواز طرح سؤال تمهيداً لتقرير الإجابة من قبل السائل.

4. أسلوب المنع: فطر الله تعالى الخلق منذ خلق آدم –عليه السلام–على وجود الممنوع الذي يحذر منه وتكون عاقبته وخيمة، والمطلوب الذي يرغب فيه وتكون ثمرته مفيدة، فالنفوس مفطورة على التأثر بالترغيب والترهيب الذي هو من أكثر أساسيات التربية أهمية، فعندما خلق الله آدم قال له ولزوجه:﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ١٩﴾ [الأعراف: 19]، والمنع أساس في التكليف والاختبار، والآية واضحة في المنع بقوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ١٩﴾ [الأعراف: 19]

5ـ أسلوب الترغيب: باعتباره طريقة يسلكها المربي مع المتربي ليجعله يميل إلى حب أمر ما والعمل به رغبة في الثواب؛ وفي النصوص التالية تبيان لماهية الترغيب حيث وعد المولى عز وجل آدم بألَّا يجوع ولا يعرى في الجنة إذا ما اجتنب محارم الله والمتمثلة في الأكل من الشجرة مصداقاً لقوله تعالى:﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى١١٨﴾ [طه: 118]، كما رغبه ربه بأن جزاء السمع والطاعة، والعزوف عن وسوسة إبليس، ألا يعطش ولا يعاني من حر شمس الضحى مصداقاً لقوله تعالى:﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى١١٩﴾ [طه: 119]وبنفس الأسلوب دخل إبليس إلى آدم بقوله:﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَايَبْلَى١٢٠﴾ [طه: 120]

6–أسلوب الترهيب: باعتباره طريقة يسلكها المربي مع المتربي ليجعله يقلع عن مقارفة ما نهى الله عنه من آثام رهبة من العقاب ووفاء بوعيد من المربي.

كانت فرصة آدم وحواء أن يأكلا من الجنة أكلاً (رغداً) واسعاً لا حجر فيه حيث شاؤا شريطة ألا يقربا هذه الشجرة بالأكل منها وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما وعندها كان الترهيب بأن يصيرا من الظالمين لأنفسهم بمعصية الله، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ٣٥﴾ [البقرة: 35]ومنه قوله تعالى:﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى١١٧﴾ [طه: 117]فجاء الشقاء عاما، ومن صوره التعب بالحرث والزرع والحصد والطحن

والخبز وغير ذلك، واقتصر على شقائه؛ لأن الرجل يسعى على زوجته، فالشقاء كوعيد مرهون بالاستجابة لإبليس، وعدم الثبات على أمر الله.

7. أسلوب التكرار: .

. التأثر بالتكرار ممثلاً بالوسوسة قال تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى١٢٠﴾[طه: 120] أي أنه وعده أن يكن من الخالدين ينعم بملك لا يفنى، وفعل وسوس يفيد التكرار فهو ما يزال يعمل على إغواء آدم حتى يذكر الله فما يلبث أن يخنس ثم يعاود الوسوسة مرة ثانية وهكذا في كل مرة. وفي هذا الأسلوب درس لآدم وذريته من بعده:

ـ بضرورة طرق السمع والبصر مراراً حتى تستقر المعاني في نفوس الناشئة فهم أولى من إبليس بهذا الأسلوب.

ـ كما فيه توعية لبني آدم من أساليب إبليس في غير هذا الموضع وقد قال تعالى:(يا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف:٢٧)، وقد قال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (الناس: ١-٦)

7ـ أسلوب التقويم: ويتضح هذا الأسلوب مجسدا في التوبة، فمعنى التوبة من العبد إلى ربه: إنابته إلى طاعته، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيما مما يكرهه ربه، فكذلك توبة الله على عبده هو أن يرزقه ذلك، ويتوب من غضبه عليه إلى الرضا عنه، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه. ويتبين ذلك من قوله تعالى:(فتلقى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ). (البقرة:٣٧)

ويتمثل التقويم في قصة خلق آدم في عدة معاني منها:

١. تمثل في وضع آدم في المحك بين الأمر والنهي فكانت النتيجة أنه نسي ولم نجد له عزما فاستق العقوبة بالطرد من الجنة ولعل هذا الاختبار القبلي استعدادا لما هو قادم وتهيئة لعله ينجح في اختبارات قادمة باعتبار أن الحياة اختبار نتيجته إما العودة إلى الجنة، أو الخلود في النار.

2–ليس بالضرورة أن يكون التقدير للموقف بنجاح تام أو مطلق فالناس اليوم ليسوا سواء مصداقاً لقوله تعالى:﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ١١٣﴾[آل عمران: 113]

3.المراجعة والمحاسبة: مصداقاً لقوله تعالى:﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ٢٢﴾[الأعراف: 22]

4.والتوبة: مصداقا لقوله تعالى:﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ٢٣﴾[الأعراف: 23]

ومن خلال عرض التربية عند أدم نجد أنها تمثلت في شخصيته عليه السلام آداب المتعلم وفيما يلي تبيان ذلك:

١ –**السمع والطاعة:** عندما يتخلق المتعلم بأدب السمع والطاعة فذلك يضفي عليه سمة المرونة والإيجابية في تعامله مع المعلم والزملاء فيكون فاتحة خير لتلقي العلوم وتشرب القيم بالتواصل معهم، وذلك مصداقا لقوله تعالى:﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ٣٢﴾[البقرة: 32]

٢ –**الفتوى بعلم:** وفيها درس أيضاً لمن يتصدر للتعليم والتعلم بأن يحيط بأنواع العلوم فيأخذ بشيء عن كل علم، ويأخذ كل شيء عن العلم مجال التخصص ليكون أقدر على ممارسة مهنة التعليم، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ٣٢﴾ [البقرة: 32] فالمعيار إذن للحديث وإبداء الرأي في هذا الموضوع هو العلم فما كان على الملائكة إلا أن تسلم بعدم علمها.

٣ –**التسليم والرضا:** وقالَ تعالى:﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ٣٥﴾[البقرة: 35]

٤ –**الإيجابية والقابلية للتعلم:** فيرضى المتعلم ويقر بالنتائج ويكون وقافاً عند حدود الله ولا يفتي بدون علم ولا يكابر إذا ما جانب رأيه الصواب، لذا كان من ضروريات القيام بواجب الاستخلاف أن يعد آدم إعداداً خاصاً ويتطلب ذلك أن يكون لديه قابلية للتعلم وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ٣١﴾[البقرة: 31]

5ـ القدرة على التعليم: فآدم لديه القدرة على التعلم فسرعان ما تشرب العلوم من الله عزوجل، ومارس دور المعلم بإذنه سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله تعالى:﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ٣٣﴾ [البقرة: 33وفيها بيان لطلب الله سبحانه وتعالى من آدم أن ينبئ الملائكة بأسماء المسميات فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خلق لها.(المزين، 2009، ص ص 30، 37)

المحور الثالث: التربية بعد آدم عليه السلام:

اختلف في مقدار عمره عليه السلام، فقدَّمنا في الحديث، عن ابن عباس، وأبي هريرة مرفوعًا، أن عمره اكتتب في اللوح المحفوظ ألف سنة.

قال محمد بن إسحاق: ولما حضرت آدم الوفاة، عهد إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك. قال: ويقال إن انتساب بني آدم اليوم كلها تنتهي إلى شيث. وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله أعلم.

يأتي بعد ذلك يأتي ادريس عليه السلام

قال الله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا٥٦وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا٥٧﴾[مريم: 56-57]

فإدريس عليه السلام: قد أثنى الله عليه، ووصفه بالنبوة، والصديقية، وهو خنوخ هذا، وهو في عمود نسب رسول الله ، على ما ذكره غير واحد من علماء النسب. وكان أول بني آدم أعطي النبوة، بعد آدم وشيث عليهما السلام. (العسقلاني، 1419هـ، ص 149).

وإذا نظرنا في أساليب الأنبياء ووسائلهم في دعوتهم لأقوامهم؛ فسنجد أن التنوع سمة عامة في كل الدعوات؛ فكل نبي أو رسول يبدأ دعوته باللين والحجج والبراهين وعرض الدليل تلو الدليل، ومع ذلك الصبر على أذى المعارضين وتكذيب المكذبين، ثم مع تصاعد المواجهة وردود الأفعال تتغير المواقف، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: التربية عند نوح عليه السلام:

أ. لابد من الاشارة الى الفترة بين أدم ونوح عليهم السلام، التربية فيما بين أدم ونوح على تاريخ أهل الكتاب المتقدم، يكون بين مولد نوح، وموت آدم، مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون، كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في (صحيحه): حدثنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، سمعت أبا سلام، سمعت أبا أمامة، أن رجلًا قال: يا رسول الله: أنبي كان آدم؟ قال: نعم مكلم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون.

وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس قال: كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام، فإن كان المراد بالقرن مائة سنة –كما هو المتبادر عند كثير من الناس –فبينهما ألف سنة لا محالة، لكن لا ينفى أن يكون أكثر، باعتبار ما قيد به ابن عباس بالإسلام، إذ قد يكون بينهما قرون أخر متأخرة، لم يكونوا على الإسلام، لكن حديث أبي أمامة يدل على الحصر في عشرة قرون. وزادنا ابن عباس أنهم كلهم كانوا على بالإسلام.

وإن كان المراد بالقرن، الجيل من الناس، كما في قوله تعالى:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا١٧﴾[الإسراء: 17] وقوله:﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ٣١﴾[المؤمنون: 31] (ابن كثير، 1426هـ، ص 175)

ب . الشرك بعد التوحيد: قد قال قتادة: (ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح – عليهما السلام – عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله عز وجل نوحاً، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض).

5–وعن عكرمة قال: (كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام) الألباني (854/7)

فهذه أقوال صحيحة عن سلف هذه الأمة في بيان بداية الشرك في بني آدم، وهي ترجح هذا القول؛ بأن بداية الشرك كان في قوم نوح، وقبل هذا كانوا على الإسلام. ويستدل لهذا القول بما يلي:

1–قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا٢٣﴾[نوح: 23]، والدليل على أن هؤلاء المذكورين كانوا في قوم نوح؛ الروايات الحديثية التي وردت في تفسير الآية.

من أشهرها: ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت) (البخاري، (4920)

وما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، قال: (كانوا قوما صالحين – يغوث ويعوق... – بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم).

قال شيخ الإسلام: (إن الناس كانوا بعد آدم عليه السلام، وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه أبوهم آدم أبو البشر عليه السلام حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان، بدعة من تلقاء أنفسهم، لم ينزل الله بها كتاباً ولا أرسل بها رسولاً، بشبهات زينها الشيطان من جهة المقاييس الفاسدة، قوم منهم زعموا: أن التماثيل طلاسم الكواكب السماوية، والدرجات الفلكية، والأرواح العلوية.وقوم اتخذوها على صورة من كان فيهم من الأنبياء والصالحين. وقوم جعلوها لأجل الأرواح السفلية من الجن والشياطين. وقوم على مذاهب آخر.

وأكثرهم لرؤسائهم مقلدون، وعن سبيل الهدى ناكبون، فابتعث الله نبيه نوحاً عليه السلام، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وإن زعموا أنهم يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى ويتخذوهم شفعاء). (زكريا، 1421هـ، ص 184)

ج . نوح دعا قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً مراعاة لأحوال الناس وطبائعهم قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا٧ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا٨ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا٩﴾ [نوح: 7–9]

فمن الناس من يكون وعيه وإدراكه في النهار أكثر من الليل بحسب طبيعة نشاطه وسعيه في الحياة، ومنهم من يكون أصفى ذهناً لسماع الدعوة وحججها وأكثر تقبلاً للموعظة بالليل حيث يغلب السكون والتأمل، وهو ما لا يكون بالنهار. كما أنه علم أن من الناس من يستنكف عن قبول دعوته إذا وجهت إليه جهراً أمام الملأ وفي العلن؛ فأسر إليه بدعوته ليحرره من قيود وتأثيرات العقل الجمعي العام، وفي ذات الوقت لم يترك الدعوة العلنية لجماهير الناس لتنشيط الحوار المجتمعي لتثبيت المواقف وتمييز الاتجاهات. غير أن الأمور لم تستمر على هذه

الوتيرة، خصوصاً أمام الخصوم الذين اتهموه بالضلال، وانطلقت أبواق الدعاية المضادة لتسخر منه وممن آمن معه، وسعوا للصد عن دعوته وصرف الناس عنه، وأمام هذا العداء والعناد والإصرار على الكفر، وبعد إعلام الله تعالى له أنه لن يؤمن إلا من قد آمن؛ لم يكن هناك من وسيلة إلا الدعاء عليهم:﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ١١وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢﴾[القمر: 10–12] فاستجاب الله تعالى وعاقبهم بالماء المنهمر من السماء والمتفجر من عيون الأرض، فأغرقوا وصاروا إلى يوم الدين عبرة وأحاديث.

د. ذكر البسملة عند الركوب وعند ابتداء كل فعل قال تعالى:﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٤١﴾[هود: 41]

السخرية من الأنبياء والطعن بدعوتهم أمر قديم قال تعالى:﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ١١﴾[الحجر: 11]

وقال تعالى عن قوم نوح ومارموه به:﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ٣٨﴾[هود: 38] (عبد العظيم، 2002م، ص 60)

وقصة نوح عليه السلام مع ابنه، فالواجب على الآباء أن يتعاهدوا الأبناء بطاعة الله، ولا يخفى أن الوالد قدوة لابنه، وأن الأولاد ينتفعون بصلاح الآباء إلا من سبق عليه القضاء وغلب عليه الشقاء.

ففي الحديث (احفظ الله يحفظك) (الترمذي، (2516) كان سعيد بن المسيب يطيل في صلاته ويقول لابنه: أني لا أطيل في صلاتي رجاء أن أحفظ فيك ويتلو قوله تعالى:﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ٨٢﴾ [الكهف: 82]

ونوح أحد أولى العزم من الرسل، ولا يمكن أن ينسب إلى إخلال أو تفريط في تربية ولده قال تعالى:﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٤٦﴾[هود: 46]

ففيه تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين، وقد حسد أولاد نبي الله يعقوب أخاهم يوسف، وكادوا له لإبعاده عن أبيه فألقوه في غيابة الجب على غير ذنب ارتكبه، وكذبوا على والدهم إلى غير ذلك مما فعلوه

ي . سفينة نوح عندما سارت وسط أمواج كالجبال، وشأن هذه السفينة كسفينة السنة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك والعاقبة للمتقين وأن الله لا يصلح عمل المفسدين.

(عبد العظيم، 2002م، ص70، 61)

ويشير ابن كثير(1417هـ) أيضاً إلى شكر الله على النعمة، وذلك عندما أمر الله نوح أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجا بها. (ص 105)

ثانياً: التربية عند إبراهيم عليه السلام:

فقد دعا أباه بكل أدب ورفق راجياً هدايته، كما ناظر قومه من عابدي الكواكب والشمس وجادلهم بالأدلة العقلية في مناظرة استدراجية؛ موافقاً لهم حتى يكونوا هم الحاكمين على أنفسهم بضلال ما هم عليه من اعتقادات لا سند لها ولا برهان. لكنه لما جادل عباد الأوثان، وبين لهم أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع دعاء ولا تستجيب لداع؛ توجه إليها – موطناً نفسه على ما قد يلقاه من أذى – فكسرها بيمينه وأهانها وهي لا تحس ألماً ولا تعي ما يفعل بها قال تعالى:﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ٣٩﴾[الصافات: 39]

فسلك بذلك وسيلة القوة، وتغيير هذا المنكر المتمثل في عبادة الأوثان باليد آخذاً بعزائم الأمور، غير عابئ بما قد يناله من عابديها أو صانعيها، وهذ شأن أصحاب الدعوات الذين يضحون بكل ما يملكون من أجل دعوتهم وعقيدتهم، ولا يخافون في الله لومة لائم؛ فعواقب الأمور بيد الله عز وجل وحده.

. الدليل القاطع والحجة الدامغة من الأساليب المهمة التي على الدعاة أن يأخذوا بها، فأصناف المدعوين كثيرة، فمنهم من تنفع معه الموعظة، ومنهم من ينفع معه الترغيب والترهيب، ومنهم من ينفع معه الدليل والحجج والبراهين، ونبي الله وخليله انتهج كل هذه الأساليب، فأقام عليهم الحجة العقلية والمادية التي تدل على بطلان ادعائهم أنهم آلة من دون الله كما ورد ذكرها في سورة الشعراء. (زين الدين والعوضي، 2017م، ص 46)

ثالثاً: التربية عند موسى عليه السلام:

. فقد سلك في بداية دعوته لفرعون وملئه أسلوب اللين والحوار العقلي الهادئ، لكن مع رعونة فرعون والملأ، وتصاعد حدة التهديدات، وردود الأفعال العدائية والرافضة للدعوة رغم الحجج الواضحة والآيات الدامغة؛ ما كان من موسى إلا أن سلك مسلكاً آخر، وفاجأ فرعون بهذا الرد الذي يليق بأمثاله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا١٠٢﴾ [الإسراء: 102]

قال ابن كثير: أي هالكاً، وقيل ملعوناً، وقيل مغلوباً، ولما رأى موسى عليه السلام أنه ومن معه في خطر، وأن الدعوة تمر بمنعطف صعب، وأن العقبات تعوق تقدمها، وأنها مهددة بألا تسير في طريقها؛ دعا على فرعون وملئه، وتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء:﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ٨٨﴾ [يونس: 88] فأغرق الله فرعون وجنده وجعلهم عبرة لمن خلفهم.

ومما سبق يتبين ما يلي:

أولاً: أنه إذا كان اللين والرفق هو الكلمة الأولى، فليس هو الكلمة الأخيرة، وتلك هي الحكمة؛ ففي مرحلة الضعف والقلة يكون الصبر وضبط النفس حكمة، وفي حال القوة يكون رد العدوان وتأديب المتطاولين على الدعوة ورجالها حكمة الحكمة. وكما أن الترغيب أسلوب فإن الترهيب – أيضاً –أسلوب، ولكل مقام مقال. وكما أن تغيير المنكر باليد لمن يقدر من أعلى المراتب، فإن التغيير باللسان قد يكون أجدى وأنفع، كما قد يكون التغيير بالقلب من أثقل التكاليف.

ثانياً: أن طريق الدعوة محفوف بالأشواك والعقبات، مجلب للمتاعب والآلام، فلا يكون ذلك داعياً للتخلي عن المضي قدماً نحو أهداف الدعوة المنشودة؛ وفي هذا يقول تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ(العنكبوت:10)؛ فيصرفه أذى الناس عن الإيمان وتكاليفه. كما لا يكون ذلك – أيضاً –داعياً للتخلي عن ثوابت الشريعة؛ فيستبدلها الدعاة بتجارب البشر، وآراء الخبراء، وما تراه العقول! فيكون الثمن غالياً، والعقوبات قاسية، فضلاً عن تأخر النصر والتمكين. (الدميري، 2014م، ص ص 27، 28)

رابعاً: التربية عند لوط عليه السلام:

وأي انحراف وأي عمل قبيح هذا حيث يترك الرجل المرأة التي هي الوسيلة لتوليد النسل وإنجاب الاولاد، والتي جعلها الله سكناً ولباساً وستراً وعفافاً للرجل والمرأة، يترك هذا العمود الاساسي للأسرة والتركيب الطبيعي للجسم والروح، ويلجأ إلى الإشباع الكاذب والمنحرف للحاجة الجنسية، والقضاء على الهدف الاصلي، وهو استمرار النسل البشري وسعادة الأمة وطهارة الأسرة.

وفي الحقيقة مثل هؤلاء المنحرفين والذين يرتكبون الذنوب العظيمة، لم يكن عندهم جواب مقنع وشافي ومقبول في مقابل دعوة الأنبياء والرسل والدعاة إلى الله، الا التعنت والاصرار على الخطيئة مثل قوم لوط حيث قالوا: أخرجوا لوطاً وأتباعه من مدينتكم، أو قَتلِهم بعض الأنبياء والرسل.

كان الله عزوجل يعذب الأقوام المنحرفة والعاصية السالفة كل حسب ما يراه تعالى مناسباً لهم ولزمانهم ولذنوبهم حيث نرى قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ(العنكبوت:40)

وهم قوم هود وعاد، والحاصب معناه الطوفان الذي فيه الحصى الكثير (ومنهم من اخذته الصيحة) ، وهم ثمود . قوم صالح . والصيحة السماوية هي الصاعقة التي تقترن بالزلزلة يحدث منها صوت رهيب. (ومنهم من خسفنا به الأرض)

وهو قارون الملك المتكبر والمتجبر الثري المغرور، خسفت به الأرض نتيجة استكباره وغروره.

(ومنهم من أغرقنا)، وهم فرعون وهامان وجنودهما.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠﴾[العنكبوت: 40] وهناك طوائف وأقوام اخرى أصابها العذاب مثل قوم نوح وقوم لوط وغيرهم.

يتضح لنا أن أنواع العذاب ينزل على الأقوام المنحرفة والعاصية حسب ما يراه الله تعالى، علما أن الله عزوجل لا يعذب احدا ولا يظلمهم الا بما كسبت أيديهم وبعدما يرسل لهم الأنبياء والرسل لهدايتهم.

ـ من الأعمال الشنيعة والخبيثة التي كان يرتكبونها قوم لوط وأدت إلى قطع السبيل كما ذكرها الله في كتابه العزيز:﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ ٢٩﴾ [العنكبوت: 29] أي تقطعون سبيل الولد وقطع النسل الحلال باختياركم الرجال على النساء. (الميلاني، 1424هـ، ص 97، 101)

ـ جعل مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها، ولا بما حولها من الأرض، لرداءتها ودناءتها، فصارت عبرة وعظة وآية على قدرة الله وعزته في انتقامه ممن خالف أمره، وكذب برسله. (ابن كثير، 1417هـ، ص 256)

خامساً: التربية عند يوسف عليه السلام:

أـ نجاة يوسف من البئر: فقد قضى يوسف في ظلمة البئر الموحشة والوحدة القاتلة ساعات مرة، ولكنه بأيمانه بالله ودعائه وتوسله المستمر شع في قلبه نور الأمل، وألهمه الله تعالى القوة والقدرة على تحمل الوحدة الموحشة وأن ينتصر في هذا الامتحان.

ـ لا سبيل إلى النجاة من وساوس الشيطان واغراءاته، إلا بالالتجاء الى الله، الله الذي لا فرق عنده بين السر والعلن، بين الخلوة والاجتماع، فهو مطلع ومهيمن على كل شيء، وموجود في كل مكان.

ب ـ جهاد النفس: نحن نعرف أن أعظم الجهاد في الإسلام هو جهاد النفس، الذي عبر عنه في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بـ الجهاد الأكبر وجهاد العدو الذي عبر عنه . بالجهاد الأصغر، وقصة يوسف، وما كان من عشق امرأة العزيز وأحد من هذه الصور الجهادية بالنسبة إلى يوسف عليه السلام.

لقد انتصر يوسف عليه السلام في هذا الصراع بوجه مشرق أبيض لثلاثة أسباب:

الأول: أنه التجأ إلى الله وأستعاذ به، وقال: «معاذ الله».

الثاني: لاحظ نعم الله التي لا تحصى والتي أنقذته من غيابة الجب الموحشة، وأوصلته إلى محيط الأمان والهدوء، وجعلته يفكر في ماضيه ومستقبله، ولا يستسلم للتيارات العابرة.

الثالث: بناء شخصيته وعبوديته المقرونة بالإخلاص التي عبر عنها القرآن الكريم (أنه من عبادنا المخلصين).

ج ـ حماية الله والطافه الخفية: الدرس الذي نتعلمه من قصة يوسف، هو حماية الله ورعايته الواسعة والطافه الخفية للإنسان وفي أشد الحالات، حيث يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا

يحتسب ـ ويكون ذلك القميص المبارك أكبر عون ومدرك للعزيز يوسف عليه السلام، ذلك القميص الذي يصنع العجائب، وفيه ثلاث آيات وهي:

أـ يكون يوم يفضح إخوة يوسف لأنهم جاؤوا أباهم ملطخا بدم كذب وهو غير ممزق (وجاؤوا على قميصه بدم كذب).

ب ـ يوم يفضح امرأة العزيز، لأنه قد قُدَّ من قُبُلٍ ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ٢٦﴾[يوسف: 26]

ج ـ يوم يكون واهبا البصر والنور ليعقوب:﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ٩٣﴾[يوسف: 93] (الميلاني، 1424هـ، ص 170ـ 174)

سادساً: التربية عند أيوب عليه السلام:

أـ قصة النبي أيوب عليه السلام عظيمة وسامية وتحمل لنا تجارب وحكم ومواعظ كثيرة في الصبر والتحمل والاستقامة، وتعلمنا درساً مهماً في كيفية الاستقامة أمام المشاكل والمصاعب الحياتية.

ب ـ قد بنيت الحياة الانسانية على أساس الامتحان والتجربة، ومن دون هذا الامتحان لا تتفجر الامكانيات والطاقات الكامنة في الإنسان، وعلى هذا الإساس يشمل الامتحان الإلهي الواسع كل البشر وبالأخص السالكين إلى الله والانبياء والرسل، وهؤلاء يكون امتحانهم أشد وأصعب من الآخرين.

ج ـ الفرج بعد الشدة: عندما تشتد الأمور وتتكاثر أمواج الحوادث والبلاء على الأنسان وتحيط به من كل جانب، عليه ألا ييأس ويفقد الأمل﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ٨٧﴾[يوسف: 87] وأنما عليه أن يدرك أنها بداية تفتح أبواب الرحمة الإلهية عليه.

د ـ دروس في الصبر: يعلمنا النبي أيوب عليه السلام كيف نصبر وكيف نتحمل الصعاب والمشاكل وكيف نقف أمامها، وخاصة أذا أبتعد عنا اصدقاءنا وأهلنا والتحقوا بالأعداء وتركونا، كما فعلوا بالنبي أيوب، فعندما فقد أمواله وثرواته وصحته، تفرق عنه أصحابه، واتحدت السنتهم مع السنة أعدائه في الشماتة به وإلقاء اللائمة عليه. فأن أيوب عليه السلام كان يتألم من جراح السنتهم أكثر من تألمه من بقية الآلام.

فالصبر الجميل والشكر الجزيل يعقبه الظفر والانتصار في كل المجالات، ونيل المقام المحمود والمنزلة الرفيعة عند البارئ عزوجل. (الميلاني، 1424هـ، ص 190)

سابعاً: مقارنة بين تاريخ التربية الاسلامي والتاريخ الغربي من خلال القضايا التالية:

حقيقة الانسان:	**ـ نظرة الإسلام للإنسان نظرة تكريم تتسم بالتوازن بين طاقاته المختلفة وبالتكاملية بين جميع جوانب شخصيته بإبعادها المختلفة من جسم وعقل وروح فلكل منها متطلباته ووظيفته التي تقدر التربية الإسلامية أهميتها في حياة الإنسان وأعمار الأرض.** **قال الرسول صلى عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ". وهذه الفطرة هي الخلقة السليمة التي لم يصبها شائبة والتي يوجد عليها كل موجود أول خلقه فيكون صاحبها مزودا بالاستعدادات والطاقات الظاهرة والباطنة التي تمكنه من التمييز بين الحق والباطل، فنظرة الاسلام إلى الانسان نظرة تكاملية.** **ـوحقيقة خلق آدم من طين.**	**تمثلت حقيقة الانسان في نظرية داروين في النشوء والارتقاء وأنه تطور عن مخلوقات أخرى عبر سلسلة طويلة من التطور ابتداء من الكائنات ذات الخلية الواحدة ثم الانتقال من طور إلى طور حتى وصل المخلوق إلى حالته البشرية الاولى التي لازال يتطور بعدها وهي ليست نظرية الوحيدة المفسرة لطبيعة الانسان وأصله.**
حقيقة الكون:	الكون كله مخلوق لله خاضع لسننه، مسير ومدبر لقدرته سبحانه، وهو مسخر للإنسان وزاخر بنعم الله التي لا تحصى، ونظرة الإسلام للكون نظرة تهدف إلى ارتباط المسلم بخالقه وتحقيق العبودية الكاملة له، وتربية المسلم على الجدية فهو وجود لهدف معين وإلى أجل مسمى عند الله ولم يخلق عبثا: قال تعالى:" وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ". الأنبياء 16: بل تحثه على النظر والاكتشاف، والقيام بالمسؤولية المنوطة به وهي الاستخلاف في الأرض وعمارته واستثمار ما فيه من ثروات والايمان بعالم الغيب والشهادة والثواب والعقاب بعد الموت.	أنكار الأخرة وعدم العمل بها، وبأن الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات، وإنكارهم للغيبيات والثواب والعقاب بعد الموت.
حقيقة المعرفة:	تتمثل في الوحي هو يأتي على رأس هذه المصادر، ثم السنة النبوية. ثم العقل والحس.	أـ بعد صراع بين العلم والكنيسة واستبعاد الدين من أن يكون مصدر موثوق به، انحصرت

		مصـــادر المعرفـــة فـــي مصـــدري الحس والعقل. ب ــ النظـــر الـــى منـــاهج العلـــوم الطبيعيـة باعتبـاره الوسـيلة الوحيـدة الموثوق به للحصول على المعرفة حتـى فـي ميـدان العلـوم التجريبيـة والانسانية
حقيقة الحياة:	الحيـاة لـم يخلقهـا الله عبـث ولهـوا، أنمـا وجـدت الحيـاة لهـدف وغايـة وهـو عبـادة الله وحـده لا شـريك لـه ويـدل على ذلك قولـه: وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون، والحياة دار ابتلاء وامتحان للعبد.	أنكـار الحيـاة الاخـرة وعـدم العمـل بهـا وزعمهم بـأن الحيـاة الدنيا هـي المجال الوحيد للمتع والملذات.

خاتمة:

نجد أن رواد التربية الاسلامية ومنارات الهدى هم (الأنبياء) فنرى من خلال ما سبق طرحه في هذي الورقة أن تاريخ تربية الأنبياء هو (تربية ربانية المصدر والغاية) كما في قولة تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ٥٦﴾[الذاريات: 56]

أما الأهداف العامة في تربية الأنبياء هي (تقوى الله وأيضاً أصلاح السلوك والاخلاق) يقول الله عند نوح عليه السلام في قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ١٠٥ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ١٠٧ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ١٠٨﴾[الشعراء: 105-108]

وعند هود عليه السلام في قولة:﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ١٢٣إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٢٤إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ١٢٥فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ١٢٦﴾[الشعراء: 123-126]

وعند صالح عليه السلام في قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ١٤٤﴾[الشعراء: 141-144]

وعند لوط عليه السلام قال تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ١٦٠ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٦١إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ١٦٢فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ١٦٣﴾[الشعراء: 160-163]

وعند شعيب عليه السلام قال تعالى:﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ١٧٧إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ١٧٨فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ١٧٩﴾[الشعراء: 176-179]

وعند إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ١٦﴾[العنكبوت: 16]

وعند إلياس عليه السلام في قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ١٢٣إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ١٢٤﴾[الصافات: 123–124]

وعند عيسى عليه السلام في قوله تعالى:﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ٥٠ ﴾[آل عمران: 50] (المحيميد، 2009م، ص ص 145، 146)

وتستنتج الباحثة الآتي:

1.أول من نزل على الأرض آدم نبي الله من المصطفين الأخيار، وانطلاق البشرية متدينة يقودها آدم عليه السلام لمدة 1000سنة، وبعد ذلك حدث اختطاف الشياطين كما حدث في عهد نوح عليه السلام قال تعالى:﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ٥٠﴾[آل عمران: 50] [آل عمران: 50]

وفي الحديث القدسي:(وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا). (رواه مسلم، 2865).

2ـ لقد كرم الله سبحانه وتعالى آدم عندما خلقه بيديه وأسجد له ملائكته ونفخ فيه من روحه وأسكنه الجنة وأهبطه إلى الأرض وأمتد هذا التكريم لبنيه من بعده.

3. الأنبياء المربين لهم الدور الأبرز في تربية وقيادة الأمة نحو الحق المبين من آدم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم.

4ـ استفادة المربى مما حصل مع الأنبياء في تربية الناشئة على المبادئ والقيم الرصينة من خلال ما حدث مع أقوامهم، وأخذ العظة والعبرة من قصصهم، وصبرهم عند البلاء، والدعاء والالتجاء إلى الله عز وجل عند اشتداد الأمر، والاستغفار والسمع والطاعة لما يقوله الله عز وجل ورسوله الكريم، واستشعار أنهم خلفاء الله في أرضه وعمارتها بتقوى الله عز وجل وعبادته، وأيضاً الصبر على ما يحصل للمسلم من مشاق في دعوته الى الله، والندم والتوبة عند وقوع الذنب.

5. غرس الالتزام بما في الكتاب والسنة والعودة إليهم عند قراءة أحداث التاريخ ووقائعه، فلن نجد أحد تحدث عن التاريخ بصفاء ونقاء ووضوح مثل الوحي. وعدم الالتفات للنظرة المادية التي تنكر الدين واستبعاده كمصدر من مصادر المعرفة.

6. نجد أن تاريخ التربية منذ فجر البشرية متأثر بدرجة كبيرة بنظرية داروين لذا يقع الحمل على الباحثين في مجال التربية الاسلامية العاتق الأكبر في إعادة صياغة تاريخ بدء الخليقة وفق حقيقة الخلق وأنها بدأت من أبو البشر أدم عليه السلام.

7. تقديم العقل على النقل كان من خلال قولة تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ٣٤﴾[البقرة: 34] ﴾[البقرة: 49-50] ومن هنا بدأ تقديم العقل على النقل، ابليس أعمل عقله عندما قال: (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) (ص:76).

المراجع:

ابن الأثير، المبارك بن محمد. (2009م). الكامل في التاريخ. دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أحمد بن زكريا. (1399هـ). معجم مقايس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. دار الفكر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1420هـ). تفسير القرآن العظيم، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن كثير، اسماعيل. (1417هـ). قصص الأنبياء. تحقيق: عبد الحي الفيروماي. (ط5). دار الطباعة والنشر الإسلامية: القاهرة.

ابن كثير، إسماعيل. (1426هـ). البداية والنهاية. دار ابن كثير للطباعة والنشر: دمشق.

البخاري، محمد بن إسماعيل. (1419هـ). صحيح البخاري، الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع.

الخريجي، منصور عبد العزيز. (1420هـ). الغزو الثقافي للأمة الإسلامية "ماضيه وحاضره"، ط2، الرياض، دار الصميعي.

الدائم، عبد الله. (1973). تاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين. دار العلم للملايين: بيروت.

الدميري، أمين. (2014م). تنوع الاساليب في دعوة الأنبياء. مجلة البيان، (327).

زكريا، لابي بكر محمد. (1421هـ). الشرك في القديم والحديث. (ط1)، مكتبة الرشد: الرياض

زين الدين، محمد. والعواضي، يوسف. (2017م). منهجية الدعوة عند أولى العزم من الرسل وتنوع أساليبها. بحث ماجستير، قسم التفسير وعلوم القران، كلية العلوم الاسلامية، جامعة المدينة العالمية

شاكر، محمود. (1421هـ). التاريخ الاسلامي قبل البعثة. (ط8). المكتب الاسلامي: بيروت.

الطويل، توفيق. (1968). العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي، القاهرة، دار النهضة العربية.

عبد العظيم، سعيد. (2002م). عظات وعبر في قصص الأنبياء. دار الايمان للطباعة والنشر: القاهرة.

عبود، عبد الغني. (1977). في التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي.

عزوزي، حسن. (2010). إسهام الجامعات الإسلامية في الحضارة الإنسانية، الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

العساف، صالح بن حمد. (1433هـ). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكيَّة. ط2، الرياض: دار الزهراء.

العسقلاني، ابن حجر. (1419هـ). تحفة النبلاء من قصص الأنبياء. (ط1)، مكتبة الصحابة: جدة.

العسيري، أحمد بن معمور. (1417هـ). موجز التاريخ الاسلامي منذ آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر. مسترجع من: https://www.noor-book.com/

علي، سعيد اسماعيل. (1999م). التربية في حضارات الشرق القديم. القاهرة: عالم الكتب.

العمري، أكرم ضياء. (1415هـ). السيرة النبوية الصحيحة. (ط 6)، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة

محمود، زكي نجيب. (1993). تجديد الفكر العربي، ط9، القاهرة، دار الشروق.

المحيميد، عبد العزيز بن عبد الرحمن. (2009م). تاريخ الفكر التربوي بين المصادر الاسلامية والمصادر الغربية. مجلة التربية، جامعة الازهر، 4، (143) 121- 157

المزين سليمان حسين. (2009م). قراءة تربوية في قصة آدم عليه السلام. مسترجع من: www.pdffactory.com

منذو، يوسف. (1433هـ). القيم التربوية في قصة نوح عليه السلام وتطبيقاتها، رسالة ماجستير غير منشورة ، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم التربية.

الميلاني، مرتضي. (1424هـ). حكم ومواعظ من حياة الانبياء. (ج 2). مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

النقيب، عبد الرحمن؛ والسَّالوس، منى. (1999م). نحو تأصيلٍ إسلاميٍ للبحث التربوي. القاهرة: دار النشر للجامعات.

يوسف، رضا مطاوع علي. (2014). منهج القرآن في تفسير التاريخ "فرعون موسى نموذجا"، مجلة التربية، كلية التربية بنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، العدد 157، الجزء الثاني، ص ص377 – 425.